

للشال الكامل الذي وصفه مورل . وفي ذلك ما فيه من جعل الناس كلهم اعنياديين ومنع تولد الشذوذ

ولم يرتق الانسان من حالة العمجية عندما كان يسكن الغابات ويصل الى حاله الحاضرة الا بفضل الشواذ . وللانحراف عن الاصل وجهان احدهما قبيح ضار والاخر جميل نافع فلنتخلص من الاعجاب بالانسان الاعنيادي ولنعود النظر الى الشاذين بلا خوف ولا احتقار ولندافع عن الضارين منهم معاملة ايام بالثقة لا بالآلات التعذيب التي ورثناها عن القرون الوسطى ولنعبد الى الشاذين النافعين حقوقهم فقد تقهروا الانسانية بكثير من التعم والمواهب
نسيم بربري

اللغة المكتوبة واللغة المحكية

لا امرأه في أن لغة العربية الفصحى او العربية المكتوبة جانباً امع من حتى كليب واعتر من جهة الأسد فامرأتها قط واحد بتظرف او رماها بزهره الا صلاه انصارها نار حرب زبون يهون عندها شرب المتون ولو استطاعوا لقلعوا عينيه وقطعوا يديه . إذا فليقتض حاضرة القاضي ولمور عن نفسه وليقس ما لقيه في يومه بما اصاب غيره في امسه . فيرى في الحال صحبة الخبر . ويصفر في عينه الخطب على الأثر ويعلم انه لم يكن اول سار غيره قر اشار المقتطف في باب التقريظ والانتقاد من الجزء الماضي الى الكتاب الذي وضعه حاضرة القاضي ولمور في اللغة الانكليزية وجمع فيه اللغة المحكية في الديار المصرية فاصداً بذلك تسهيل نشر العلوم والمعارف في اللغة العربية (المحكية) وتقريب منالها على الاجانب و اشار على الصحف العربية بأن تأخذ أخذة وتنبذ اللغة المكتوبة وتبديها بالمحكية حتى اذا عملت باشارته وضافها على ذلك اهل الحل والعقد قضي على اللغة المكتوبة ونيل من ضررتها
الغاية المطلوبة

فشن عليه ارباب الاقلام غارة شعواء ونيلوا رأيه وعدوه اسخف الآراء . ولشدة حقهم منه ومرجعتهم عليه حسبوا انه اول مخترق لحجاب العربية المصون وانهم هم اول من حتى ذمارها وذاد عن حياضها . واسوا او تاسوا أن كثيرين غيره طرقوا قبله هذا الباب واعترضهم حماة اللغة وانصارها مدافعين مناضلين . وسيظل هذا الباب معرضاً للقرع والطرق حتى يزول الخلاف بين الضرتين ولا يبقى اثر لهذا الفرق

وكان المتكطف كما أشار في الجزء الماضي أوّل منبه على قصور اللغة المكتوبة عن الرفاء بحاجة الكتاب في هذه الأيام ولكونيه من أشد أصحابها غيراً عليها قضى بوجود الاحتفاظ بها وأشار بما حضره حينئذ من وسائل توسيع نطاقها وتعميم شيوعتها في اللسان مكان اللغة المحكية . وكان هذا العاجز من رأوا رأي المتكطف في المناظرة الأولى التي حدثت بين "الممكن" ومناظريه منذ إحدى وعشرين سنة وفي المناظرة الثانية التي حدثت بعد ذلك بقومت ستين بيني وبين حضرة نعمة افندي شديد يافت^(١)

ولو أن انصار اللغة المكتوبة نبذوا من أول الامر التطرف والمبالاة جانباً وجاروا المتكطف في الاعتدال وأقرّوا اقراره بنقص اللغة المكتوبة وقصورها عن مجارة اللغات الأجنبية وقضوا هذه الستين الطويلة في البحث عما ينبغي اجراءه لخدموها خدمة عظيمة ولم يتركوا باب التحسين عليها مفتوحاً الى الآن . لكنهم كانوا — عفا الله عنهم — كما رأينا هذه المرة في حملتهم على المستر ولمور بقصرون كلامهم على تسفيه رأي من يشير باستخدام اللغة المحكية لانها قاصرة ضيقة فاسدة الخ وزاد بعضهم هذه المرة نعمة جديدة في ظنيور الدفاع بلغ بها حد الإعجاز وقاية الابداع وهي ان حملة القاضي ولمور على اللغة المكتوبة مبطنة بمصلحة دينية يكرها الصليب على الهلال وما اعظم ما نلفه الصحافة من عقول بعض الرجال

اما المتكطف فقد أراه الاخير الطويل ان اللغة المكتوبة لا تزال في حاجة مائة الى ما يسد خللها ويتم نقصانها وان ما اشار به منذ إحدى وعشرين سنة وصدقه هذا العاجز في حينه واثار به غير مرة في جريدة ثمرات الفنون لم يجد فيللاً ولا اروي غليلاً الا وهو شروع الاساتذة والمدرسين في مخاطبة التلامذة باللغة العربية وتعويدهم النطق بها وعقد مجمع لغوي يحكم في النحت والوضع والتعريب . اما الاول فلان اكثر الاساتذة لم يكونوا قادرين عليه لفقدان هذه الملكة منهم اولان المدارس انفسها لم تساعد على اتمامه جاعلة التكلم باحدى اللغات الأجنبية من قوانينها الاساسية اولان التلامذة انفسهم لم يرتاحوا الى هذا الامر الذي لم يروا من ورائه جدوى تحقق ما يقتضيه من العناية الجليل والوقت الطويل . وحسبوا وهم مصيرون ان مواولة تحصيل اصعب اللغات الأجنبية اسهل مطلباً وامر متالاً من محاولة تحصيل ملكة التكلم بالعربية الفصحى . وهب انهم تمكنوا مع طول الايام وملازمة الجد والاجتهاد من تذليل الصعاب وامتلاكوا ناصية التكلم بالعربية العربية طبقاً لقواعد صرفها ونحوها ومعانيها وبيانها فهل يجتنبون من ذلك فائدة توازي اقل منفعة يجودونها في تعلم اصفر اللغات الأجنبية شأناً ؟

واما الثاني اعني عقد مجمع لغوي فالفائدة منه ضمنية لا محالة وعليه وحده يتوقف خلاص
اللغة المكتوبة من يرثن اللغة المحكية والا فهي باطشة بها مفترمة لها عاجلاً كان او آجلاً
ولكنه لسوء الحظ لم يعتقد بعد ولن يعتقد ابد الدهر الا اذا استوفى الشرطين الملازمين له
وسأني على ذكرها . ومن الغرور ان يتوهم البعض أن اللغة المكتوبة يمكنها اذا استتمت شروطها
كلها ان تغلب على اللغة المحكية وتلاشيها وتحل محلها . ومن علل نفسه يد فقدم كدم في غير
مكدم . وطعم في ما لا مطعم وراهه ولا مفهم . وهب أننا ارضناها لاطفاننا مع اللين واستطعنا
ان نخرجهم عليها في بيوتنا ومدارسنا وعقدنا لها احسن مجمع لغوي لما افاد هذا كله أكثر من
صد تيار اللغة العالية عن الظهور عليها وابتلاعها لكنه ما كان قط يطس معالم اللغة المحكية
من الوجود ويدرجها في اركان عاد وثمود . والفرق بين المكتوب والمحكي امر طبيعي لا بد
منه في كل لغة من لغات البشر ولا تقدر اعظم قوى العالم على ازالته . قال المتنطف "ولقد
كانت العربية المحكية تحالف العربية المكتوبة من عهد ابن خلدون وما قبله" ويظهر من ادلة
لا محل لبسطها هنا انها كانت تحالف العربية المكتوبة دائماً " وكثيرون من الباحثين في
فلسفة اللغة العربية والفرق بين المحكي والمكتوب منها لا يقفون عند هذا الحد من الاستنتاج
بل يتجاوزونه الى ما وراءه كثيراً جازمين بان اللغة العربية النحوية لم تعد قط نطاق الكتابة
منذ عهد نشأتها الى الآن اي ان العرب حتى في صدر الجاهلية لم يتكلموا بالعربية المنطبقة
على الاحكام الاعرابية انطباقاً تاماً بلا زيادة ولا نقصان . نعم ربما لم يكن الفرق بين محكيهم
ومكتوبهم عظيماً كما هو في ايامنا هذه لكنه كان موجوداً ولو زهداً كما هو الآن بين المكتوب
والمحكي في كل من اللغات الاجنبية

واذا كان هذا الفرق موجوداً في كل لغة فلماذا هو في اللغة العربية اكثر منه في غيرها ؟
ماذا يجيب الخامون عن اللغة المكتوبة وانا واحد منهم ؟ وذا صح ان العرب كانوا في القديم
يتكلمون اللغة العربية او كان الفرق بين محكيهم ومكتوبهم قليلاً كما هو الارجح فلماذا حصل
هذا الفرق او زاد على توالي الايام خلافاً لما ينتظر من انتشار المدارس والمطابع وشيوع الكتب
والجرائد ؟ لا سبيل للجواب على هذه الاسئلة كلها الا بهذا وهو ان اللغة العربية لا تصح ان
تكون لغة تكلم ولم توضع الا لتكون لغة كتابة وبيان ذلك ان الحكم من طبعه يطلب
الاختصار في حديثه ما استطاع الى ذلك سبيلاً اقتصاداً في الوقت وابتغاءً للبلوغ الى
مقصوده من اقرب الطرق وأخصر التعابير والكلام العربي طويل جداً اولاً بسبب حركات
الاعراب وثانياً لعدم امكان الاختصار فيه كما في المحكي والكلمة العربية يقتضي لفظها من

الوقت والمقاطع مضاعف ما يقتضيه لفظ كلمة عامية فالحديث الذي يقتضي سرده باللغة المحكية نصف ساعة اتقضى بالمكتوبة ساعة على الأقل . اذًا ليس في اللغة المحكية ما في اللغة العامية من الصلاحية للتكلم والمخاطبة ولذا قضى عليها قانون تنازع البقاء ان تجنوها الالسنه والشفاه . وتبذرها الافواه نبد النواة . ويتجصر استعمالها في تسويد يياض القرطاس بمداد الدواة . واذا لم يرق هذا الحكم في عين المعارض وانكر علينا صحته فلا نطالبه بأكثر من بيان العلة لشوء اللغة المحكية واظهار السبب لحصول هذا الفرق العظيم بينها وبين المكتوبة فان استطاع اقتناعنا بان لتلك سبباً آخر غير أنسيتها ابي كونها اصلح وانسب واسلس واسهل على الشفاه والالسنه من اللغة المكتوبة وافقاءه على كل ما يدعيه بلا استثناءه . وزدناه ما شاء من الشكر والتناه ولو جمعنا ما كتب في لغتنا العربية منذ ثلثين سنة فقط عن اللغة المكتوبة واللغة المحكية لشغل مجلداً ضخماً يبلغ عدد صفحاته ألفاً او يزيد وقد ذهب كله باطلاً وانتهى الكتاب في كلامهم على هذا الموضوع الخطير حيث ابتدأوا فلم يقرروا فيه حقيقة ولا فصلوا خطاباً . وعلة ذلك فيما ارى تطرف الباحثين من انصار اللغة المكتوبة (واولهم انا) في التجامل على اللغة المحكية استلاماً لليل والهوى او حرصاً على الاحتفاظ بالتقديم او اكتفاء بالنزر القليل من التروي والامعان او خوفاً من التصريح بما يخالف الرأي العام او تغير ذلك من الاسباب الواهنة التي لا تصح ان تُفخذ كلها فضلاً عن واحد منها اساساً لئلا يصغر الآراء واقل الاحكام تطرفنا ما شئنا وبالغنا في صلاحية اللغة العربية لكل مكتوب ومحكي . وغالبنا في نساد اللغة المحكية وعدم صلاحيتها لشيء والواقع او الاختيار داحض لزعم مناقض رأينا في الامرين كليهما وغاية ما يتكفؤ من يعتمد اخطاها أن يقول لنا " اذا كان الامر كما ذكرتم فلماذا لم يتم استعمال الاولى ويبطل استعمال الثانية ؟ " . والباحث العاقل المتزه عن الغرض اذا تساهل معنا في المناظرة وسأم جدلاً بعدم صلاحية اللغة المحكية — وهي على حالتها الراهنة — لأن تكون لغة مكتوبة لا يسمه مطابقاً ان يسلم معنا بان اللغة المكتوبة صالحة — في حالتها الحاضرة لان تكون لغة محكية لانها غير كافية للتعبير عن كل ما يبدو لنا من الطواطر والافكار وسبب عدم كفايتها ليس نقصاً اصلياً او قصوراً طبيعياً فيها بل قلة المعروف او المتداول منها عندنا . ومعلوم ان اللغة التي لا تصلح عند التكلم والمخاطبة ان تقضى حاجات النفاهم التي كثيراً ما يستعان على سد الناقص منها باشارات الالدين واعضاء الوجه وغيرها فكيف تصلح ان تقضىها كتابة وهي مجردة عن كل واسطة تعينها على ذلك لا ريب في صحة هذه النتيجة وان كبير علينا امرها وأينا الاعتراف بها . ومن الغريب

اننا قد نلّم لأول وهلة بصحة النتيجة الاولى التي اثبتناها وهي عدم صلاحية اللغة المكتوبة للتكلم ونأبى التسليم بصحة النتيجة الاخيرة اعني عدم صلاحية اللغة المكتوبة للكتابة ونسبى ان النتيجة الاولى لازمة للثانية ونتيجة عنها اعني ان عدم صلاحيتها للتكلم ناشيء عن عدم صلاحيتها للكتابة والا اي لو انها كانت صالحة للكتابة لصلحت للتكلم لا محالة

ولعل بعضنا ولا سيما الذين يبرزوا منا لمقارعة القاصي ولور لا يطيب لهم سماع مثل هذا الحديث واهرون شيء عليهم ان يتهموني بالاشياع عنهم والانضمام الى انصار اللغة المحكية . ولكن ما قولهم بشهادة ارباب الاقلام انفسهم واية شهادة اخرى غيرها يقبلون اذا رفضوها ولم يصدقوها . فالى جهابذة الكتبة البالغين في صناعة التحرير ابدء غاية وارفع مرتبة نرفع هذه المسألة ونستخلصهم واحداً واحداً بالمسغبة والمثربة وشطف العيش الناتج من شق تلك القصة ان يجيبونا بصدق وإخلاص على هذا السؤال : هل كتب احدهم مرة مقالة او نبذة او كتاباً تصنيفاً او تاليفاً او تعريباً وهو واثق كل الثقة انه مثل لقارئ كتابه صورة المعنى التي رسمها في ذهنه تماماً كما يتلها الكاتب الانكليزي او الفرنسي او غيرها من كتاب اللغات الاجنبية : هل اكمل مما كتبه فصلاً بل صفحة بل سطرًا دون ان اخذ بهتان اليراع وثناه عن الجري في ميدان الطرس وهب يستحث ذاكرته ويعصر يانوخه طالباً كلمة او كلمات يتخذها قالباً لسبك المعنى السائل في دماغه على حرارة التصور والتخيّل ويجعلها صفحة ينقل عليها الصورة البديعة المرسومة في الذهن بيد الاجادة والانتقان واذ لا يرى في محفوظه من كلمات اللغة المكتوبة ما يشفي الاوام وينفي بالمرام ويخاف ان يستعين بلفظة من لغة العوام لم يحكمها ابو زيد ولا رواها ابن هشام يضطره رغم اتفه الى العدول عن ذلك الرسم البديع الجميل واستبداله بما يوافق اللفظ العربي التصحيح وما اسخف المعاني انماضعة لاحكام للفظ

ومعلوم ان مواضيع الكتابة اكثر من ان يحيط بها عدد او يجمعها احصاء ولكن زهرة رينها وعروس مواضعها وواسطة عقد بديعها هو الومف . فن من ساداتنا الكتاب التجاري فرمان الانشاء والتحرير وابطال اليراع المغاوير حاول مرة وصف شيء مما في القبة الزرقاء او على سطح الغبراء او بين الارض والسماء او في عالم السر والاختفاء . واستطاع ان يثقل لعين القارئ او لأذن السامع تمثيلاً حقيقياً يستوي فيه العين والاثرو يستغني مطالعه عن المشاهدة وسامعه عن النظر

من منهم اذا دخل رقصاً او نادي انس او محفل طرب واراد ان يكتب عنه بقدر ان يصف باللغة المكتوبة كل ما وقع عليه نظره وشاهدته عيناه في ذلك المكان من المجالي

والمظاهر والمشاهد والمناظر. ولم يرى في ذاكرته من الكلمات العربية التصيحية التي ترسم في ذهن القارئ الصورة الحقيقية لما رآه في ذلك المشهد على الرجال والنساء من الملابس المتعددة الاشكال والمختلفة الانواع وما في القاعة وعلى "البوفه" و. و. الخ. او يظن ان القارئ يرويه السراب ويشبهه كشيء الضباب ويكنيه من الوصف ان يقال له "وكان الرجال قائمين بالملابس الرسمية والسيدات بانقر الخال واتن الخلى والقاعة مفروشة باغلي الاثاث وانص الرياش ومزدانة بالمصابيح والانوار والرياحين والازهار والبوفه حافلة باللذات الاطعمه واطيب المشروبات". واذا اقتربنا على ابلغ كاتب عربي في هذه الايام ان يصف لنا "اوضة" مقعد او مخدع نوم او غرفة طعام وصفاً مدققاً يشمل كل ما فيها من الامتعة والادوات المصنوعة من خشب وزجاج ومعدن وحرير وصور وقطن وغير ذلك او يصف ثياب سيدة من السيدات وحلاها فهل يستطيع اجابة الاقتراح تماماً دون ان يستعين باللغة المحكية؟
بعض كلامه بل بكلمة

جلست يوماً اطرح احد مشاهير العلماء البحث في هذا الموضوع فاعتذر عن قصور كتابنا بقوله "ان عدم تعوذهم التدقيق في وصف مثل هذه الامور يحول دون مجاراتهم لكتاب الافرنج في اختلاف غيره مما تعوّدوا وصفه كالجمال مثلاً فانهم بارعون جداً في وصف القامة والشعر والعينين والتم والعنق وغير ذلك مما يجيدونه غاية الاجادة ويملون في ميدانهم على كتاب اللغات الاجنبية". وعندى ان هذا اذا صح فهو بعض السبب لا كلة. وهب انهم مارسوه حتى اصبح ملكة راسخة في اذهانهم فاذا يقدم ذلك ما داموا في حاجة الى الكلام يسبرون به عن موصوفهم ولا يجيدون منه ما يجيدونه عند ارادة التعبير عن اوصاف الجمال

ثم ان حاجتنا الى اللغة المكتوبة ليست مقصورة على الوصف ولا هي محصورة في الادب والمدح والمجاء والتهنئة والثناء والتعظيم والحماسة كما نراها هذه الايام في صحف الاخبار وكتب الادب بل تمتدى الى ما هو اهم جداً من جميع هذه المذكورات — الى العلوم والصناعات — الى ما لا يخص من السميات الطبية والكبائية والفلسفية والفيزيائية والهندسية والصناعية والتجارية والزراعية والنجارية والكهربائية وغيرها مما يحتاج الى عشرات الالوف من الكلمات ولا نرى له في لغتنا المكتوبة الآن غير كلمتين فقط وهما "ادوات والآلات"

فالجمع اللغوي الذي نحتاج اليه ينبغي ان يتألف من رجال اكفاء لهذا العمل الخطير يناط كل منهم باحصاء كلمات فرع من العلوم ونوع من الصناعات بنقلها عن اربابها العاملين فيها ثم ينظر اعضاء الجمع كيفهم معاً في كل قسم من هذه الكلمات على حدة فما وجدوا له في

اللغة العربية لفظاً يجي به معناه أو يقرب منه ويسهل تميمه وضعوه له وأحلوه محله وما لم يجدوا له شيئاً من ذلك عربوه وأدخلوه وبعد ما يفرغون من عمل الرضع التعريب يطبعونه ويوزعونه ولا يلبث أن يم استعماله وتشمل فائدته
والأ فاللغة المكتوبة لا ترقى التيار المثلث المنذفع عليها من اللغة المحكية واللغة الفرنسية والانكليزية بمجرد قولنا انها مهبط البلاغة والفصاحة وبجلى الحسن والملاحة وربة الاستعارات والكتايات وشامة في وجنة اللغات. وان اكنينا بهذا كما هو ظاهر من غارتنا على حضرة القاضي ولور اصبتها باساة تجر كل احاسنا اليها. واضفتها من حيث اردنا المحافظة عليها
القاهرة
اسعد داغر

منزلة الشعر من التاريخ

(٢)

جرنا البحث الى امرى و القيس وهو زعيم الشعراء بلا منازع ومليك البلاغة بلا مضارع ومن شعر عبيد يعرف ان ابا امرى و القيس كان ملكاً على اسد وان جدته تدعى ام قطام وانه قصد ملوك غسان مستصراً على عداه. واذا اردنا اثبات ذلك من شعر امرى و القيس وجدنا جميعه مع تفصيل اوضح واتم كما ترى في البيتين التاليين

اقرحنا امرى و القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام
وانا الذي عرفت معد فضله وتشدت عن حجر ابن ام قطام

قال شارح ديوان امرى و القيس اراد بنشدت رفعت ذكر حجر ابن ام قطام وبديهي ان الولد النجيب يرفع من ذكر ابيه. فدل قوله على انه ابن حجر ابن ام قطام
واذا اردنا المقابلة بين قولي عبيد وامرى و القيس قلنا

امرى و القيس

عبيد

يدعو خصمه مري القيس وهو مصفر امرى و القيس || يدعو نفسه امرأ القيس وهو يتسب الى كندة
يقول ان قتيل اسد بدعي حجر ابن ام قطام
يقول ان قتيل قومه من كندة
يقول ان بني اسد قتلوا اباها

فالرجل الذي يكلم عنه عبيد هو بلا شك امرى القيس الشاعر المشهور. ومن ثم نستنتج ان حجراً كان ملكاً على اسد وانهم خلعوا نيره فكبح جماحهم اولاً ثم شدوا عليه قتلوه وقام